

الرسالة

(تيطس ٢: ١١-١٤؛ ٤-٧)

يا ولدي تيطس
لقد ظهرت نعمة الله
المخلصة لجميع الناس*
وهي تُؤدّبنا لننكر
الذنبا والشهوات العالمية
فنحيا في الدهر
الحاضر على مقتضى
التعقل والعدل والتقوى*
مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ السَّعِيدَ
وظهور مجد إلهنا
العظيم ومخلصنا يسوع
المسيح* الذي بذل
نفسه لأجلنا ليفتدينا
من كل إثم ويُطهر
لنفسه شعباً خاصاً
غيوراً على الأعمال
الصالحة* فلمّا ظهر
لطف الله مخلصنا
ومحبته للناس* خلصنا
هو لا لأعمال في
البر عملناها نحن بل
على مقتضى رحمته بغسل
الميلاد الثاني وتجديد
الروح القدس* الذي أفاضه
علينا بسخاء بيسوع
المسيح مخلصنا* حتى إذا
تبررنا بنعمته نصير ورثة
على حسب رجاء الحياة
الأبدية.

قداس رأس السنة

صباح الثلاثاء ١ كانون الثاني
٢٠٠٢، وبمناسبة ذكرى ختانة
السيد وعيد أبينا الجليل في القديسين
باسيلوس الكبير، ترأس سيادة راعي
الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة
القداس الإلهي في كنيسة نياح
السيدة في رأس بيروت، بحضور
حشد من المؤمنين. بعد الإنجيل
المقدس ألقى
سيادته العظة
التالية:

العدد ٢٠٠٢/١

الأحد ٦ كانون الثاني

الظهور الإلهي المقدس

لربنا والهنا ومخلصنا

يسوع المسيح

اللحن السادس

إنجيل السحر التاسع

«في المقطع
الإنجيلي الذي
قرأناه عليكم
سمعنا يسوع
يقول لأمه
وليوسف «لماذا
تطلبانني. ألم
تعلمنا أنه ينبغي
لي أن أكون في
ما هو لأبي» (لو

٤٩:٢). هذا القول يجب أن يكون قول
كل مؤمن محب لله. يسوع المسيح
الطفل أراد أن يبقى في الهيكل مع
رؤساء الكهنة والكهنة والمعلمين،
يسمع ويسأل ويجادل. كان يشعر أنه
هناك في بيته الحقيقي وكان يجد
فكره وقلبه وكلامه في ما يقرأون،
في الكلام الذي منه يستقون. كان
يجادلهم ويسألهم وقد اندهشوا من
حكيمته وفهمه. لا شك أنهم وجدوا فيه
طفلاً مميزاً عن سائر الأطفال، وقد
يكون من القلة الذين يسعدون في
الوجود في بيت الرب وقراءة كلمته
عوض اللهو واللعب. لقد أحب المكوث

في حضرة الله وفاق حبه هذا كل حب
آخر. أين الأطفال الذين يشبهون الطفل
يسوع؟ قد لا نجد أحدهم في الكنيسة
اليوم. يسوع ترك الأهل والأقرباء
وأحب أن يستكين إلى كلمة الله وأن
يغتذي بها ويرتوي من ينابيعها.
وكأنني بهذا الصبي الذي كان «ينمو
ويتقوى بالروح»، يقول لأمه وليوسف:
لماذا تطلبانني؟ أنتمما أتيتما إلى
الهيكل لتقدما ذبيحة عنكما وعني
ولتقولوا لله إن
بيتكما
وقلبكما
وحياتكما كلها
مع الله، وهذا
ما فعلته أنا،
بقيت في
الهيكل لأكون
مع الله، متحداً
به، لأن من يحب
الله ينبغي أن
يكون في ما
لأبيه الإلهي.

الإنسان يطيع والديه وأحباءه لكن
الطاعة الأولى هي طاعة الله. وإذا
واجه محب لله فكراً أو رأياً أو عملاً
يناقض قلب الله وفكره يحاربه لأنه
ينبغي أن يعمل ما هو لله.

اليوم نعيد لذكرى ختانة الرب
يسوع. عندما أصبح في اليوم الثامن
من عمره ختن كما كانت العادة عند
اليهود. في العهد القديم أمر الرب
بالختان كي يصبح النسل كله للرب.
يُضْحَى بالدم ليصبح الإنسان من أهل
العهد. الدم في عملية الختان رمز للدم
المهراق على الصليب. الختان رمز
يعني أن المختون أصبح يخص الله،

الإنجيل

(متى ٣: ١٣-١٧)

في ذلك الزمان أقبل يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه* فكان يوحنا يمانعه قائلاً أنا محتاج أن أعتمد منك أو أنت تأتي إلي* فأجابه يسوع قائلاً: دع الآن فهكذا ينبغي لنا أن نقيم كل بر. حينئذ تركه* فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وحالاً عليه* وإذا صوت من السماء قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت.

تأمل

الطوباوي بولس، خطيب الكنيسة، يكتب لنا ويقول: «إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة». ولكي لا تتأول هذه العبارة على أنها خليفة محسوسة، استدرك قائلاً: «إن كان أحد في المسيح»، وهذا ليعلمنا أن من يرينا الخليفة الجديدة إنما هو معتنق إيمان المسيح. فقل لي: هل في رؤية سماء جديدة وجزء من الخليفة يتجدد فائدة تساوي المنفعة في أن نرى إنساناً يعبر من الرذيلة إلى الفضيلة فيتخلص عن الضلال

أيضاً في حياة الحياة، لأننا إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته، عالمين هذا: إن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبتل جسد الخطيئة كي لا نعود نستعبد للخطيئة... فإن كنا قد متنا مع المسيح، نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه» (رو ٦: ٤-٨). في المعمودية العراب يلعب دوراً جوهرياً لأنه يتعهد باسم الطفل أن يحيا حياة مسيحية. العراب هو القديس الذي عليه أن يجعل من الطفل المعمد قديساً. عليه أن يعلمه الإيمان والاستقامة والنزاهة وكل فضيلة. هو الأب الروحي للطفل، يرافقه في مراحل حياته الروحية ويديره على صلب الخطيئة فيه وحنق كل شر ورذيلة في نفسه لكي تنمو المحبة وتزهو الفضائل.

مساء أمس، فيما كنت أتأمل كلمة الرب لكي أنقلها إليكم اليوم، سمعت صراخ المبتهجين باستقبال السنة الجديدة. أهكذا نستقبل السنة؟ بالألعاب النارية والقمار والرقص والهزج عوض أن نركع ونصلي مع العائلة سائلين الله أن يغفر لنا خطايانا التي اقترفناها في السنة الماضية، والإساءات التي قمنا بها تجاه الغير، والتقصير تجاه الفقير والمحتاج... وأن يرافقنا خلال السنة القادمة لكي نفرح به وبمن حولنا. روبليف، كاتب أيقونة روسي من القرن الخامس عشر، بقي صامتاً سنوات طويلة رسم بعدها أيقونة الثالوث الشهيرة التي نرى فيها ثلاثة ملائكة متشابهين جالسين حول مائدة، بضيافة إبراهيم وسارة. الملائكة يمثلون الثالوث، وبإمكاننا أن نميز ذاك الذي يمثل الله الابن من حركة خضوعه لله الأب وتسليمه نفسه لإرادة أبيه من أجل خلاص البشر.

موت المسيح في عيني الرسول بولس هو تسليم الرب يسوع جسده بكل وعي وإدراك، طاعة منه لمشيئة الأب. هذه الطاعة التي أدت إلى المعمودية ومنها إلى الصليب والقبر

مؤمناً به، سامعاً له، عاملاً بوصاياه في كل حين. الختان في العهد القديم هو رسم للمعمودية والصليب. الختان الخارجية لليهودي هو العلامة الخارجية لوحده مع الله، لدخوله في العهد. لكن هذا الرسم ليس سوى الدليل على ما يحصل في القلب. الختان الخارجي شكلي، رسم للختان الحقيقي الذي هو ختان القلب أو الختان الداخلي. كل ما هو زائد يرمى. الختان الجسدي في العهد القديم كان ختم العضوية في شعب العهد. إبراهيم أخذ علامة الختان ختماً لير الإيمان الذي كان له، أي علامة قبوله لدى الله. لكن هذا الختان ليس بشيء إن لم تختتنوا للرب وتنزعوا غرل قلوبكم (إر ٤: ٤). الختان الحقيقي يكون برمي الإنسان القديم، بصلب إنسان الشهوة والخطيئة والميول الشريرة الذي يؤدي بنا إلى الهلاك. الختان الحقيقي هو رمي الطبيعة الساقطة الشريرة التي لا تموت إلا إذا اتحدنا بالمسيح المصلوب. المسيح تجسد، لبس جسدنا المائت لكي يسمره على الصليب ويميت كل ميل فيه إلى الخطيئة وكل انحراف إلى غير الله. في آدم كان الإنسان خاضعاً لطبيعته الساقطة. مع المسيح صار الإنسان خاضعاً لله في المسيح، آدم الجديد، الإنسان الجديد. الخطيئة أصبحت جسماً غريباً في كيانه وهو ينتصر عليها عندما يصبح المسيح فيه الكل في الكل. الإنسان المسيحي الناصع القلب والضمير الذي يلهج بالله بلا انقطاع ينزعج من الخطيئة.

خلع الطبيعة القديمة حصل بالمعمودية، الختان الجديد، العلامة الجديدة للانتماء في العهد الجديد. الإنسان القديم يدفن - عندما يغطس الطفل ثلاثاً - ليقوم الإنسان الجديد في المسيح. كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمد لموته، ونحن الذين اعتمدنا لموته «دُفننا» معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الأب، هكذا نسلك نحن

ويتمسك بالحقيقة؟ ذاك ما دعاه الرسول الطوباويّ خليفة جديدة. ولذا أضاف على الفور: «فالقديم قد اضمحلّ وكل شيء قد تجدد»، مظهرًا في النهاية أن الذين تحرروا، على غرار من يخلع ثيابه العتيقة، من ثقل خطاياهم بالإيمان بالمسيح، وأعتقوا من الضلال مستنيرين بشمس العدل، قد لبسوا ثيابًا جديدة برّاقة، ألا وهي الثياب الملكيّة؛ لهذا السبب يقول بولس: «إن كان احد في المسيح فهو خليفة جديدة، فالقديم قد اضمحلّ وكل شيء قد تجدد».

فكيف لا يكون كل شيء جديدًا عندما يعتنق فجأة الاعتدالَ وشظفَ الحياة من كان يعيش البارحة وقبل البارحة في الرخاوة والتطرف؟ وكيف لا يكون كل شيء جديدًا وخارقًا عندما يسيطر فجأة من كان يعيش حتى الآن في الخلاعة، علي أهوائه، منهكًا قواه في لذات الحياة الحاضرة، ويتمسك بالاعتدال والنقاوة وكأنه لم يعد مغلقًا في جسد؟

أرأيت أن ما حدث هنا هو في الحقيقة خلقٌ جديد؟ لقد ولجت نعمة الله، فأعادت نحت النفوس وبدلتها، فجعلت منها غير ما كانت عليه، لا بتحويل الطبيعة بل بتغيير الإرادة. فهي لا تسمح البتة لمحكمة أعين

والقيامة. في المعمودية يأتي المسيحي طوعًا ليصبح واحدًا مع المسيح في موته ودفنه وقيامته بشكل حيوي وعضوي، مما جعل الرسول بولس يقول: «الآن أفرح في آلامي لأجلكم وأكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة» (كو ١: ٢٤). وكأنه يقول للرب يكفيك آلام عنا. أنا سأتألم عنك. سأكمل آلامك. أنا امتدادك لك. أنت في وأنا فيك، لأنني لست أنا أحيًا بل أنت تحيا فيّ.

الكنيسة لا تصبح عروسًا ناصعة إلا بالصلب والألم. لكن هذا الأمر لا يحصل في خدمة المعمودية كما نراها ظاهريًا شكليًا، بل بما يسعى المعتمد أن يفعله وأن يصبحه. عليه أن يهتم بما هو فوق لا بما على الأرض، لأنه بالمعمودية مات وحياته مستترة مع المسيح في الله. عليه أن يमित ما هو أرضي، كل ما هو متعلق بالإنسان العتيق: الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الرديئة، الطمع الذي هو عبادة الأوثان. عليه أن يطرح جانبًا الغضب والسخط والخبث والتجديف والكذب والكلام القبيح، وعليه أن يلبس التواضع والوداعة والرأفة واللطف وطول الأناة والاحتمال والمسامحة والغفران وفوقها المحبة التي هي رباط الكمال. هذه الفضائل هي نتائج سكنى كلمة الرب فينا لأن الروح القدس يعمل فينا ويتكلم من خلالنا (كولوسي ٣).

دعائي في هذا اليوم أن نختن قلوبنا ونميت جسدنا القديم، جسد الشهوة والميول الشريرة، لكي نحيا بالمسيح. أسأل الله أن يبارك هذا البلد وينقيه من كل فساد، وأن يغير قلوب وعقول من يجعلون الفساد يستشري في وطننا. أقول هذا لأنني أجد وطني مرتعًا لكل فساد. أرجو أن أكون مخطئًا إنما ينتابني شعور أن الفساد متجذر في بلدي حتى العظم. كلنا سمعنا أن بعض الموظفين أقصوا عن مراكزهم وعين غيرهم

مكانهم، لكن هل سمع واحد منكم لماذا تم الإقصاء؟ هل حوكم واحد من الذين أقيلو من مراكزهم؟ إذا عوقب إنسان بإزاحته من مركزه فهذا يعني أنه مخطئ ويجب أن يحاكم. فلم لم نشهد محاكمة أحد؟ الكي لا نشهد الفضائح؟ لكي لا يفضح المسؤول الأعلى منه؟ نحن نعرف أن بعض المديرين العاملين أبعدوا لأنهم رفضوا مساندة المسؤولين وارتكاب المخالفات. نحن نعرف أن بعض الموظفين الأوامر، الشرفاء، الطيبين، الذين يعملون بصدق ونزاهة عوقبوا لأنهم رفضوا تنفيذ أوامر رؤسائهم لأنهم لم يشاءوا تسخير ضمائرهم، أقيلو ووضعوا في التصرف. حتى الشريف من المسؤولين يسيء إلى البلد وأبنائه إن تغاضى عما يحصل. أنا أتمنى أن يعلن الموظفون الحقيقة على الملأ ويفضحوا من وما يجب فضحه لكنني أفهم ترددهم لأنهم أرباب عائلات وعليهم الاهتمام بعيالهم.

نحن لسنا غافلين عن الصفقات والأوراق المزيفة التي على أساسها دفعت المبالغ لمهجرين مزيفين، والكنايس الوهمية التي باسمها قبض البعض بمبالغ كبيرة، والموظفين المرضي عنهم لأنهم يسايرون، وأولئك المغضوب عليهم لأنهم يرفضون المساومة. أنا أطالب الدولة أن تحاكم كل موظف أزاحته عن مركزه. فنحن نرفض أن تستغل المراكز للمصالح الشخصية، لكننا نرفض أيضًا أن يساء إلى إنسان دون أن يحاكم، ولم لا علنا، لكي نعرف جميعنا الحقيقة.

كلنا أيضًا شهدنا كيف تم تعيين ما يقارب المئتي موظف في جلسة واحدة. ألا يلزم وقت أكثر لمجرد قراءة هذه الأسماء؟ أم أنهم لا يقرأون؟ ما أريد قوله أن الجميع سيدانون. إذا حصل مكروه ما لهذا البلد. لا سمح الله. ستشير الأصابع إلى كل إنسان مسؤول عن الخراب. نحن نريد بلدنا مختونًا نقيًا من

كل شر وهذا يكون عندما تُعلن الحقيقة، كل الحقيقة. فمن كان مسؤولاً عن خربطة البلد يجب أن يُفصح، وإذا لم يفصح المسؤول عنه اسمحو لي أن أشك بأن هذا المسؤول هو مسؤول عن الخربطة. أما أن يُتهم إنسان دون أي دليل، فهذا ظلم. لذلك أُطلب من الدولة إما أن تعيد الموظّفين إلى مراكزهم أو أن تحاكمهم وأن تعلن نتائج المحاكمة، مع الرجاء أن لا تختفي الملفات أو تضع في عتمة النسيان. هل ما زلتم تذكرون القضاة الأربعة الذين قتلوا؟ ما كانت نتيجة التحقيق؟ كل ما نعرفه أنهم ماتوا وأن الله وحده هو الذي يرحم البشر يساومون وبعض المسؤولين يرعون الفساد ولو لم يكونوا فاسدين، لكن الساكت عن الشر شيطان أخرس، كما قال أحد الحكماء بالله. أنا سأدافع عن المظلومين، وأنتم أيضاً، وهذا حق لنا، إلى أن تتوقف الإساءة إلى كرامة الإنسان الموظف الذي يزاح من مركزه لسبب مجهول ويوضع في التصرف، ودولتنا تدفع معاشات الموضوعين في التصرف وتشكو من الهدر وتدعي العمل على ضبط الإنفاق. فإما أن هذا الإنسان قد ارتكب خطأ ما ويُدان، وإما أنه بريء فلم التعدي عليه؟

لبنان لن يستعيد مكانته الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية أولاً إلا بناسه الشرفاء. أنا أصلي من أجل هذا. ألا جعل الرب السنة القادمة سنة محاكمة للشر وتبين للخير. صلوا معنا لأن بلدنا لا يُنقذ إلا بالصلاة. أنتم تخلصون لبنان بمحبتكم له وسهركم عليه ومساءلتكم المسؤولين فيه، وهذا حق للمواطنين في بلد ديمقراطي. صلوا بصدق من أجل لبنان ومن أجل كل إنسان يتخذ قراراً فيه. الله يسمع الصادقين. وكل عام وأنتم ولبنان بألف خير. أمين»

المعمودية

نعلن في دستور الإيمان أننا نؤمن بـ«معمودية واحدة لمغفرة الخطايا». سر المعمودية يتقبله الإنسان مرة واحدة في حياته فيصبح عضواً في جسد الرب يسوع. وبما «أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته» (رو ٦: ٣)، لا يجوز تكرار المعمودية لأن الرب مات مرة واحدة على الصليب وقام من بين الأموات. يقول القديس يوحنا الدمشقي ان الذين يعتمدون ثانية «يجددون صلب المسيح» مستنداً إلى قول الرسول بولس «لأن الذين استنبروا مرة ... وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرون» (عبر ٦: ٤-٦). من سقط في الخطيئة بعد المعمودية يجدد معمديته عبر سر التوبة أو الإعراف، أي أنه يتوب عن خطايه ويجدد عهده بالالتزام وصايا الرب يسوع التي أقر بها يوم معمديته.

نؤمن أيضاً أننا في المسيح يسوع نصبح «خليقة جديدة» (٢كو ٥: ١٧). فكما ان الإنسان يولد مرة واحدة بالجسد، هكذا أيضاً الولادة في الملكوت تحصل مرة واحدة. تلك ولادة جسدية وهذه ولادة روحية. وكما يتعرّض الإنسان بعد ولادته الجسدية لأمراض جسدية ويعالجها، وهذا ليس خلقاً جديداً، هكذا أيضاً يتعرض الإنسان بعد ولادته الروحية لأمراض روحية سببها الخطيئة فيعالجها بالاعتراف والتوبة والأبوة الروحية، وهذا ليس خلقاً جديداً إنما تجديد للخلق الذي حصل في الولادة بالماء والروح.

نعتمد معمودية واحدة على اسم الآب والإبن والروح القدس لأننا في حاجة إلى الثالوث الأقدس لقيامنا وثباتنا، ولأنه لا يمكن عزل الأقانيم الثلاثة بعضهم عن بعض، لأن الثالوث الأقدس غير منفصل.

الروح بأن تحكم خلافاً للحقائق. بيد أنها تُجيز للنظر، وكأنها أزاحت عنه الغشاوة، أن يرى بدقة بشاعة الرذيلة وقبحها وجمال الفضيلة وضيائها. رأيت المعلم كيف يُنجز كل يوم خلقاً جديداً؟ قل لي: مَنْ غيره عرف كيف يُنقع الإنسان الذي غالباً ما أمضى حياته في لذات هذا العالم، عابداً أصنام الحجر والخشب ومعتبراً إيّاهم آلهة، بأن يرقى فجأة إلى درجة من الفضيلة بحيث يحتقرها الآن ويسخر منها معتبراً الحجارة حجارة والخشب خشباً، لأنه يعبد خالق المسكونة ويؤمن به فوق أمور هذه الحياة كلها؟ رأيت كيف أن الإيمان بالمسيح والعودة إلى الفضيلة يُدعيان خلقاً جديداً؟ فأتوسّل إليكم، أنتم الذين نالوا التنشئة قديماً، وأنتم الذين استحقوا نعمة المعلم، أن نصغي جميعنا إلى تحريض الرسول الذي يقول لنا: «إن القديم قد اضمحل وأضحى كل شيء جديداً». لننس ماضينا كله ولننجز هذا التحول في حياتنا كمواطنين مدعويين إلى حياة جديدة، ولنتأمل من خلال أقوالنا وأفعالنا كلها كرامة الساكن فينا.

**القديس
يوحنا الذهبي
الفم**